مجلة فكرية إبداعية

مجلة شهرية تصدر مؤقتا ست مرات في السنة • **العدد 26 /27 ــ السنة السادسة ــ 1983** • المدير المسؤول : **محمد بنيس**. هيئة التحرير : **محمد البكري، مصطفى المسناوي، عبد الله راجع، محمد العشيري**. العنوان : **ص.ب. : 505، المحمدية، المغرب**. التصفيف الالكتروني : **لينو النخلة، 5، زنقة مستغانم، البيضاء**. السحب : **مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر**. التوزيع : **سوشبريس**. رقم الايداع القانوني : **12ــ1974**. الاشتراكات **بالمغرب** : الاشتراك العادي : **30 دهـ**. اشتراك المؤسسات : **75 دهـ**. **الاقطار العربية وأوروبا** : الاشتراك العادي : **75 دهـ**. اشتراك المؤسسات : **225 دهـ**. **اشتراك المساندة** : ابتداء من **50 دهـ**. **تبعث الاشتراكات باسم** : محمد بنيس ــ **الحساب البريدي** : **1.383.41** الرباط.

• المقالات التي تنشر في المجلة تعبر عن رأي كاتبيها.
• المقالات التي لم تنشر لا ترد إلى أصحابها.

الموضوعـات

مذبحة صبرا وشاتيلا
صفاء حسين زيتون 3

• دراسـات

الوحي، الحقيقة، التاريخ (نحو قراءة جديدة للقرآن)
محمد اركون 32

ثنائية الارض ــ السماء في الفكر العربي الاسلامي المعاصر
محمود أمين العالم 59

الاسطورة، الدم، الغناء : ملف خاص بالقصة القصيرة في امريكا اللاتينية

رائحة الغوافة : أحاديث مطوّلة مع غبرييل غرثيا ماركيث 76
الترجمة العربية لروايات غبرييل غرثيا ماركيث
محمد العشيري 162
زهـرة صفـراء
خوليو كرطاثار (الارجنتين) 166
صلاة جنازة في مقهى
ماريو بينيديتي (الاوروغواي) 171
الا تسمع نباح الكلاب
خوان رولفو (المكسيك) 175
أرملة مونتييل
غبرييل غرثيا ماركيث (كولومبيا) 179
الارض البـور
أغوستو روا باسطوس (الباراغواي) 184
لست رجل أعمال
لويس بريتو غرثيا (فينيزويلا) 186
الضحيـة الوحيـدة للثورة
روخيليو سينان (باناما) 188
احتفال الجـرأة
خوسيه إميليو باتشيكو (المكسيك) 200
الرجـل الميت
اوراثيو كيروغا (الاوروغواي) 216
الدخيلـة
خورخي لويس بورخيس (الارجنتين) 220

صفاء حسين زيتون

مذبحة صبرا وشاتيلا (*)

مقدمة

في أواخر القرن التاسع عشر، رفع تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية شعارا كاذبا يقول إن أرض فلسطين هي «أرض بدون شعب» لتبرير الاستطيان اليهودي في أرض فلسطين. وفي يونيو (حزيران) سنة 1969 رددت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل المعنى ذاته حين تساءلت بوقاحة «الفلسطينيون... أين هم ؟ ليس هناك شيء بهذا الاسم».

وظل اقتلاع الفلسطينيين من أرضهم وإبادتهم هدفا من الأهداف الرئيسية للدولة الصهيونية منذ إنشائها، حتى لا يبقى هناك صوت يقول «أنا فلسطيني وأريد أرضي».

وتاريخ إسرائيل ملىء بالمذابح التي دبرها ونفذها زعماء العصابات الصهيونية، لابادة أكبر عدد من الفلسطينيين، وإرهاب كل من بقى حيا، لكى يفر طلبا للنجاة تاركا وراءه أرضه وبيته.

إحدى هذه المذابح كانت مذبحة ديرياسين التي قامت بها عصابتا إيرجون وشتيرن تحت قيادة مناحم بيجين رئيس الوزراء الاسرائيلي الحالي، وإسحاق شامير وزير خارجيته. فقد هاجمت العصابتان أهالى قرية دير ياسين العزل في ليلة 8 ابريل (نيسان) 1948 وقتلت رجلا وامرأة وطفلا، وقطعت أوصالهم، وألقت بجثث عديدة في بئر القرية، وكومت الجثث الباقية في كومة رهيبة بجوار البئر.

ومذبحة أخرى تعرض لها أهالي قرية قبية في الضفة الغربية نفذتها فرقة خاصة من فرق الجيش الاسرائيلي تسمى الفرقة رقم 101 لا تلبس الزى العسكرى، ولا تستعمل الأسلحة التي يستعملها الجيش. هاجمت الفرقة بقيادة ايريل شارون وزير الدفاع الحالي قرية قبية في ساعة متأخرة من ليلة 14 أكتوبر (تشرين أول) 1953 وكان أهل القرية نائمين في منازلهم.

اقتحم القتلة المنازل وألقوا القنابل اليدوية داخلها، ووضعوا الشاحنات الناسفة حولها. وانسحبت الفرقة في الفجر بعد أن قتلت 66 شخصا معظمهم من النساء والأطفال، وأصابت 75 آخرين بإصابات خطيرة، ونسفت 45 منزلا. وادعى الجيش الاسرائيلي بعد المذبحة أنه ليس له علاقة بها، وأن من قاموا بها هم مجموعة من المتطرفين.

(*) تصدر قريبا عن دار «الفتى العربي» بالقاهرة .

ومذبحة ثالثة حدثت أثناء الاحتلال الاسرائيلي لغزة سنة 1956، فقد قتلت القوات الاسرائيلية 275 شخصا في مدينة خان يونس بعد أن هاجمت المنازل بحجة البحث عن السلاح.

أما في مذبحة كفر قاسم، فقد فرضت السلطات الاسرائيلية حظر التجول على كل السكان العرب في اسرائيل ابتداء من الساعة الخامسة مساء يوم 29 أكتوبر (تشرين أول) 1956، وكان أهالي قرية كفر قاسم لا يزالون في الحقول، لا يدرون شيئا عن حظر التجول. وعند رجوعهم الى قريتهم بعد الساعة الخامسة، استوقفهم الجنود الاسرائيليون عند مدخل القرية، أوطلقوا عليهم نيران بنادقهم. وكان عدد الضحايا في قرية كفر قاسم من الرجال والنساء والأطفال 37 إنسانا قتلوا بتعمد ووحشية.

كذلك انفضح الدور الاسرائيلي في مذبحة تل الزعتر، عندما تعرض ايريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي لهجوم عنيف وجهه إليه شيمون بيريز زعيم المعارضة، لتوريطه الجيش الاسرائيلي في مذبحة صبرا وشاتيلا، فقد رد عليه شارون متسائلا : وأين كان الجيش الاسرائيلي سنة 1976 أثناء مذبحة تل الزعتر ؟. كان شيمون بيريز في ذلك الوقت (يوليو ــ اغسطس 1976) وزيرا للدفاع. وقد اعترف مؤخرا أن اسرائيل مولت وسلحت ودربت قوات الكتائب. كما اعترفت الجرائد الاسرائيلية[1] أن خبراء إسرائيليين كانوا في بيروت الشرقية أثناء حصار تل الزعتر الذي استمر 60 يوما، واشتركوا في التخطيط للمذبحة التي تعرض لها الفلسطينيون يومي 13، 14 ــ أغسطس (آب) 1976 عند خروجهم من المخيم. وفقد الفلسطينيون في تل الزعتر 2000 شهيد.

إن المذبحة التي وقعت في مخيمي صبرا وشاتيلا لم تكن الأولى في تاريخ الدولة الصهيونية، ولكن الشعب الفلسطيني لا يزال صامدا يقاوم. وسيظل يردد : «أنا فلسطيني، وأريد أرضي» .

التمهيد للمذبحة

رحيل المقاتلين :

رحلت المجموعة الاخيرة من المقاتلين الفلسطينيين يوم 1 سبتمبر (أيلول 1982). رحل حماة بيروت الذين صمدوا في وجه البرابرة تسعة وسبعين يوما كاملة. رحلوا لكي يجنبوا المدنيين في بيروت المزيد من المعاناة والقصف والدمار، بعد أن يئسوا من وصول النجدة العربية. رحلوا بعد أن تعهدت كل من الحكومة اللبنانية والحكومة الامريكية بتأمين سلامة المقاتلين الراحلين، وسلامة المدنيين الابرياء الباقين في بيروت، وبعد أن وعدت الدول المشاركة

في القوة المتعددة الجنسيات بأن قواتها المنتشرة على خطوط التماس لن ترحل حتى يستتب الأمن والنظام، وتتولى السلطة الشرعية اللبنانية زمام الأمور في بيروت الغربية. رحلوا بعد أن أكد المسئولون في الحكومة الامريكية أن القوات الصهيونية الغازية لن تدخل بيروت الصامدة، رحل المقاتلون وتركوا زوجاتهم وأولادهم وأمهاتهم وآباءهم أمانة في عنق من قدموا الضمانات والوعود.

وفي ذات اليوم الذي رحلت فيه المجموعة الأخيرة من المقاتلين، هاجمت عصابة من المسلحين منزل اسرة فلسطينية في حارة الناعمة في جنوب بيروت، وكانت تحت الاحتلال الاسرائيلي، وقتلت العصابة ثلاثة من أفراد الاسرة ومثلت بجثثهم. ولم يبق من الأسرة سوى فتاة صغيرة لتروى ما حدث.

التحركات الاسرائيلية :

وخلال اليومين التاليين، تقدمت القوات الاسرائيلية واحتلت موقعا جديدا بالقرب من السفارة الكويتية يكشف مخيمي صبرا وشاتيلا بالكامل. واحتج شفيق الوزان رئيس الوزراء اللبناني على تقدم قوات الاحتلال، واتعبره خرقا لاتفاق وقف إطلاق النار المتفق عليه مع فيليب حبيب المبعوث الامريكي. ورد عليه السفير الامريكي في لبنان مؤكدا أن تحرك القوات الاسرائيلية الغرض منه هو إزالة الالغام والمتاريس الموجودة على الطرق الرئيسية المؤدية إلى بيروت[2] وأن القوات الاسرائيلية سوف تتراجع بعد أن تقوم بهذه المهمة.

وتنفيذا لاتفاقية حبيب، بدأ الجيش اللبناني يتسلم مخازن الاسلحة التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية الموجودة في منطقة الجامعة العربية والفكهاني. وانتشرت قوى الأمن الداخلي في دوريات منتظمة داخل بيروت الغربية. وبدأت مظاهر الحياة الطبيعية تعود الى المنطقة. وعاد الناس الى بيوتهم التي هجروها طوال فترة الحرب. وبدأت عمليات الترميم والاصلاح. وفتحت البنوك والادارات الحكومية أبوابها. واستعدت المدارس لاستئناف الدراسة.

وفي يوم 7 سبتمبر (أيلول) ادعت الحكومة الاسرائيلية أن الفى مقاتل فلسطيني يعززهم نحو ألف مقاتل من القوات الوطنية لا يزالون يرابطون في منطقة الجناح في بيروت الغربية، وهددت اسرائيل بتجاوز خطوط وقف اطلاق النار حول بيروت اذا لم يرحل الفلسطينيون. وتنسحب القوات الوطنية من المنطقة[3]. وإثباتا لجدية تهديداتها اقتحم الجنود الاسرائيليون مبنى سفارة جمهورية اليمن الديمقراطية، واحتلوا مبنى السفارة المجرية المهجور. وتفاديا للمواجهة العسكرية أعلنت حركة «أمل» الشيعية اللبنانية أنها مستعدة للتخلى عن مواقعها في الجناح، للقوة المتعددة الجنسيات أو للجيش اللبناني. ونفى المتحدث باسم حركة «أمل» وجود مقاتلين فلسطينيين في المنطقة. وتم تسليم المواقع للجيش اللبناني في اليوم التالي[4]. وقام الجيش اللبناني بإزالة السواتر الترابية والمتاريس حول بيروت الغربية وداخلها.

وقامت قوى الأمن الداخلي بتسلم مواقع حركة الناصريين المستقلين اللبنانية «المرابطون» داخل المدينة. وبدأت عملية جمع الاسلحة من بيروت الغربية، وبالرغم من احتجاج القوات الوطنية، ورفضها التخلي عن السلاح طالما بقيت قوات الاحتلال الاسرائيلية في لبنان. كذلك دخل الجيش اللبناني مخيم برج البراجنة، وأزال حوالي 300 لغم كان سكان المخيم قد وضعوها لحماية أنفسهم من أي هجوم خارجي. وبدأت عملية تجميع الاسلحة المتبقية في المخيم رغم ممانعة السكان وإصرارهم على الاحتفاظ بأسلحتهم الفردية للدفاع عن أنفسهم. ودخل رجال الشرطة اللبنانية مخيم صبرا واتخذوا مواقع لهم على مداخل مخيم شاتيلا، وساد الهدوء في المخيمين، كان السكان يتوقعون دخول الجيش اللبناني، ولكن وجود الموقعين الاسرائيليين بالقرب من المخيمين كان يثير المخاوف ويعرقل عملية انتشار الجيش وسيطرته على الوضع الأمني(5).

رحيل القوة المتعددة الجنسيات :

في يوم 9 سبتمبر (أيلول) أعلنت الولايات المتحدة الامريكية أن مشاة البحرية الامريكية التابعين للقوة المتعددة الجنسيات سوف يرحلون في اليوم التالي، أي بعد 16 يوما فقط من وصولهم، وذلك خلافا لما اتفق عليه من قبل بأن تبقى القوة المتعددة الجنسيات لمدة شهر حتى تستتب الأوضاع الامنية في بيروت. وتعقيبا على اعلان الولايات المتحدة الأمريكية سحب قواتها، صرحت المصادر الدبلوماسية الغربية في بيروت ان القوات الفرنسية والقوات الايطالية لن تستطيع البقاء دون القوات الأمريكية.

ساد بيروت شعور بالقلق نتيجة لهذه التصريحات. وعبرت عدة مصادر لبنانية عن شكها في قدرة الجيش اللبناني وقوات الأمن الداخلي على السيطرة على الوضع الأمني في العاصمة اللبنانية بعد مغادرة القوات المتعددة الجنسية. وطالب زعماء بيروت الغربية بأن تبقى القوات المتعددة الجنسيات حتى ينتهي انتدابها الأصلي وهو يوم 21 سبتمبر (أيلول). واتصل رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان بالسفير الامريكي وطلب منه تأجيل رحيل مشاة البحرية الامريكية، وقال إن انسحاب القوات المتعددة الجنسيات الآن يناقض روح الخطة التي أعدها حبيب، حيث إن إحدى مهام تلك القوة هي ضمان سلامة المدنيين والفلسطينين طالما بقيت القوات الاسرائيلية حول بيروت(6).

ولكن الرئيس المنتخب بشير الجميل صرح في نفس اليوم أن القوة المتعددة الجنسيات قد أنهت مهمتها. وأن عليها أن ترحل.(7)

ورحلت القوة الأمريكية يوم الجمعة 10 سبتمبر (أيلول)، وتبعتها القوة الايطالية يوم السبت 11 سبتمبر، ثم القوة الفرنسية يوم 13 سبتمبر. وهكذا رحلت القوة المتعددة

الجنسيات قبل ثمانية أيام من انتهاء المدة التي حددتها خطة جيب، وهي 21 سبتمبر. رحلوا وبقي الاسرائيليون.

اغتيال بشير الجميل :

في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الثلاثاء 14 سبتمبر، اغتيل الرئيس المنتخب بشير الجميل في معقل الكتائب في بيروت الشرقية، قتل بشير الجميل في مقر الحزب بالاشرفية بالرغم من الاجراءات الأمنية المشددة التي لا يخترقها إلا المقربون والحلفاء. فقد كان بشير مجتمعا بالقيادات العسكرية للحزب عندما انهار المبنى على من فيه، إثر انفجار شحنة ناسفة تم تهريبها الى المبنى، وفجرت لاسلكيا من مكان قريب بعد التأكد من وجود بشير الجميل في الاجتماع.

وقامت عناصر من ميليشيا الكتائب بالبحث بين الانقاض عن الرئيس المنتخب حتى وجدوه بعد مضى ثلث ساعة على الانفجار. وكان مشوه الوجه لا يتحرك[8].

لم تعلن الاذاعة اللبنانية خبر مقتل بشير الجميل الا عند منتصف الليل. ولكن الاستعدادات العسكرية الاسرائيلية كانت قد بدأت. فقد أكد أحد ضباط الامن اللبناني وكان موجودا في المطار في ذلك اليوم، أن القوات الاسرائيلية المحتلة فتحت منذ الساعة السادسة مساء الثلاثاء وحتى الساعات الاولى من صباح الأربعاء، جسرا جويا عبر مطار بيروت الدولي، حيث هبطت طائرات «هيركيوليز» العسكرية محملة بالجنود والاسلحة والمعدات[9].

وفي الساعة الخامسة من صباح الاربعاء 15 سبتمبر (أيلول) فرضت قوات الاحتلال الاسرائيلية حظر التجول في كل المدن والقرى في جنوب لبنان[10] لتغطية تحركات الجيش الاسرائيلي والميليشيات الحليفة. وبدأ الهجوم على بيروت الغربية.

اجتياح بيروت الغربية :

تقدمت القوات الاسرائيلية نحو بيروت الغربية بعد أن نحت الجيش جانبا. وكان هجومها على ستة محاور. ثلاثة منها كانت عبر الطرق الرئيسية التي نظفها الجنود الاسرائيليون من الألغام والمتاريس قبل عشرة أيام. أما المحاور الأخرى فكانت من بيروت الشرقية عبر منطقة «المتحف» و «الميناء» حيث احتلت المواقع التي أخلاها مشاة البحرية الامريكية. وقبل انتهاء صباح الاربعاء كانت الدبابات والعربات المدرعة الاسرائيلية قد اتخذت مواقعها على كل الطرق والمداخل الرئيسية.

أرسل رئيس الوزراء اللبناني برقية للرئيس ريجان يحتج فيها على الهجوم الاسرائيلي. ورد على ريجان قائلا : «إن إسرائيل ترى أن هذا التقدم المحدود ضروري للمحافظة على الامن بعد مقتل بشير الجميل» ورد شفيق الوزان رافضا التبريرات الاسرائيلية[11].

دافعت القوات الوطنية اللبنانية عن بيروت الصامدة دفاعا مستميتا، وخاضت معارك شرسة في عدة مناطق منها «الطريق الجديدة»، «والمزرعة» و«الفاكهاني»، وعلى حدود المخيمات، وفي منطقة «الروشة». وبعد ظهر الاربعاء أحاطت الدبابات الاسرائيلية بمخيمي «صبرا» و «شاتيلا» وبدأت تقصفها بالمدفعية، بينما كان الجنود الاسرائيليون يقومون بتفتيش البيوت المجاورة للمخيمات، ثم اتخذوا مواقع لهم في المباني القريبة والمطلة على المخيم. وعند حلول الظلام قطعت القوات الاسرائيلية التيار الكهربائي عن بيروت الغربية[12].

استمرت المعارك صباح يوم الخميس 16 سبتمبر (أيلول)، ولكن القوات الاسرائيلية تمكنت من السيطرة على بيروت الغربية، وعزلت الأحياء عن بعضها، وفرضت حظر التجول في المدينة وأمرت السكان بعدم مغادرة منازلهم، وأغلقت جميع الطرق المؤدية الى العاصمة، وبدأت عملية اقتحام البيوت وجمع الاسلحة والاعتقالات، واستمر القصف على مخيمي «صبرا» و «شاتيلا»، كما استمر انقطاع التيار الكهربائي عن بيروت الغربية طوال نهار وليل يوم الخميس.

وعند ظهر يوم الخميس كانت القوات الاسرائيلية تحاصر مخيمي «صبرا وشاتيلا» بما يزيد على 150 دبابة، و 100 ناقلة جنود، و 13 عربة مدرعة تحمل مجموعة من المدافع المختلفة و 20 جرافة (بلدوزر)[13].

نقطة التجمع :

بعد ظهر يوم الخميس 16 سبتمبر (أيلول)، شاهد أهالي مدينة «الشويفات»، وهي المدينة المطلة على مطار بيروت الدولي، سيلا متدفقا من الشاحنات وناقلات الجنود المدرعة تتجمع في أحد ممرات المطار بالقرب من الموقع الاسرائيلي في المطار. وذكر الشهود أن الناقلات كانت تحمل جنودا يرتدون زي الميليشيات، وكانت تتدفق من جهتين : من الطريق القادم من جنوب لبنان «معقل سعد حداد»، ومن الطريق القادم من بيروت الشرقية «معقل الكتائب» وقد أكدت مصادر في الجيش اللبناني ما قاله أهالي الشويفات[14].

وعندما اكتملت الحشود، تحركت القوات من المطار الى المخيمات الفلسطينية، مسترشدة بعلامات حديثة الطلاء على جانبي الطريق، على شكل دائرة بداخلها مثلث.

وقد ذكر المراسلون الصحفيون أن هذه العلامات كانت واضحة على طول الطريق من «الدامور» الى الممر الغربي للمطار، وكذلك على طول الطريق من بيروت الشرقية الى الممر نفسه حيث ترابط القوات الاسرائيلية[15].

في الساعة الرابعة، وصلت قافلة القتلة الى حدود المخيمات التي تحاصرها القوات الاسرائيلية. وفتح لها الجنود الاسرائيليون الطريق، وغطوا دخولها بتكثيف القصف على المخيمات، وبدأت المذبحة.

شـهـادات المـوتـى[16]

انتشرت رائحة الموت وأسراب الذباب وأكوام الجثث في كل مكان. في الطرقات والشوارع الفرعية، تحت العربات، وفوق أكوام الأنقاض والقمامة، في مداخل البيوت وداخل غرف النوم.

عند المدخل الجنوبي لمخيم شاتيلا، صف من البيوت الصغيرة انهارت فوق أصحابها نتيجة للقصف المكثف. وعلى مسافة خمسين مترا كومة من الجثث تشابكت أرجلها وأيديها وكأنها تحتمي ببعضها البعض من قسوة الموت، قتلوا جميعا برصاصات في الرأس، أحدهم قطّعت خصيتاه، وجزت أعناق آخرين. كانت عيونهم مفتوحة ومتشنجة لم يقو الموت على إزالة ما فيها من رعب، وخاصة في أعين الأطفال.

وعلى مسافة قريبة جثث خمس نساء وعدد من الأطفال، ملقاة فوق كومة من تراب. بينها امرأة مستلقية على ظهرها، وقد شق الثوب عن صدرها، وقطعت حلمتاها. وإلى جانبها رأس بدون جسد لطفلة مليحة التقاطيع تنظر الى القتلة بغضب. وطفلة اخرى لا يزيد عمرها عن الثالثة، ترى ثوبا أبيض ملطخا بالدم والطين، ورأسها مهشم برصاصة.

وأمام بوابة منزل تهدم نصفه، امرأة شابة سقطت على وجهها وهي تحتضن رضيعها. كانت تسعى الى الفرار من وجه القتلة وطفلها بين يديها. ولكن المجرمين أطلقوا النار عليها في ظهرها، فاخترقت الرصاصة جسدها واستقرت في جسد الرضيع، فسقطت على وجهها وهي تشد الرضيع الى صدرها وتتشبث به.

وبجوار جدار، اصطفت عشرون جثة مربوطة الايدي، لفتية في سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة لن يروا مدرستهم ولن يراهم مدرسوهم وزملاؤهم بعد الآن.

وفوق تل من الأنقاض تمدد جسد طفلة في الرابعة من عمرها. كانت تبحث عن أمها بين أحجار بيتهم المهدم. فرآها أحد القتلة، وأفرغ رصاصته في عجزها فسقطت على وجهها ولا يظهر منها إلا عجزها الدامي.

ووسط كوم من القمامة، تمدّد جسد عدنان نورى البالغ من العمر 90 عاما وقد اخترقت رصاصة صدغه الأيسر، ونجواره عكازه، وبدا شعره الأبيض من تحت طاقيته الصوفية. وعلى بعد خطوات منه تكوم جسد جاره محمد دياب البالغ من العمر 70 عاما، مقتولا برصاصة في رأسه. وفي حفرة قرب مستشفى عكا عجوز آخر جز القتلة عنقه بسكين.

وأمام جثة مهشمة الرأس، وقفت امرأة تحمل بطاقة هوية ملطخة بالدماء، وتصرخ قائلة : «هذا أخي إنه لبناني وليس فلسطينيا».

وفي أحد الأزقة، طفلتان في الحادية عشرة او الثانية عشرة من عمرهما مستلقيتان على ظهريهما متباعدتا الساقين. قام القتلة باغتصابهما قبل أن يطلقوا الرصاص على رأسيهما.

وأكوام متفرقة من أنقاض المنازل والأحجار، كومتها الجرافات فوق الجثث، وبرزت من وسطها اذرع وأرجل الضحايا. وفي وسط كومة من الانقاض امتدت يد امرأة حاملة بطاقتها اللبنانية.

وفي أحد البيوت، جثة امرأة في مطبخها، قتلت وهي تعد الطعام لأسرتها. وفي بيت ثان اسرة كاملة رشت بالرصاص وهي تتناول طعامها، وبقيت الأطباق نصف ممتلئة، وفي بيت ثالث، في غرفة مظلمة، خمس جثث تلتصق ببعضها لرجل وامرأة وصبيين وطفل رضيع، قتلوا وهم نائمون فوق فراش على الأرض. وفي بيت رابع طفل رضيع يتحرك بين ذراعي أمه المقتولة. وجثة رجل معلقة تترنح من احدى النوافذ. وفي بيت آخر امرأة حامل بقر القتلة بطنها وأخرجوا الجنين من أحشائها. وجثث أخرى، وفي بيوت أخرى قطعت أوصالها، أو هشمت رؤوسها، أو طعنت بالسكاكين، وحولها برك من الدماء المتجمدة التي تؤكد أن عمليات التعذيب قد تمت قبل القتل[17].

تتناثر محافظ النقود حول أكوام الجثث، تؤكد أن القتلة كانوا ضحاياهم[18]، كما تتناثر الاعيرة النارية الفارغة وعلب الذخيرة الفارغة والأوراق الملونة التي تغلف ألواح الشيكولاتة. وكلها مصنوعة في إسرائيل وعليها كتابات بالعبرية[19].

وآثار الجرافات على الطريق الرملية تؤدي إلى أماكن القبور الجماعية. فقد حاول القتلة إخفاء الجثث بنسف المنازل فوقها، أو بردمها بالجرافات في وسط الأنقاض، أو بحملها بواسطة الجرافات الى شاحنات نقلتها الى أماكن مجهولة[20]، أو بدفنها في قبور جماعية، يضم كل منها ما بين 80 الى 200 جثة، وتجمدت فوقها الدماء وأسراب الذباب.

قدر عدد الضحايا في مذبحة صبرا وشاتيلا بما يزيد عن 4000 ضحية[21]. ولم يكن في المخيم جثة واحدة يرتدي صاحبها زيا عسكريا[22]. ولم يعرف بعد عدد الجثث التي التقطتها الجرافات وحملتها الشاحنات إلى أماكن مجهولة خارج المخيم.

شهادات الأحياء[23]

«أم كايد» فلسطينية

«لا أستطيع أن أنسى ما فعله الوحوش بالنساء والأطفال. كدت أفقد عقلي عندما بقروا بطن أم مبارك الحامل في شهرها التاسع بسكين طويلة. وبعثروا أحشاءها وأخرجوا الطفل وجهزوا عليه بالرصاص... قتلوا عفاف بنت محمود ووالدها... قتلوا صلح الطيبي وأخاه

أحمد. قتلوا ماجد خريبي وأحمد حشمي وعبد السلام بركة... قتلوا على الطوخي وسعيد العابدي وموسى العابدي وإبراهيم العابدي ووالدهم المسكين... قتلوا رجلا اسمه ماضي وأخاه محمد ووالدهما... قتلوا قاسم أبو حرب ووالده وأخويه وليد ومحمود».

أما جارتي التي كانت تسكن قبالتي، فبقيت مع عائلتها لأنها لم تنتبه الى ما كان يحدث، فنحن نعيش منذ مدة وسط دوى القذائف وصوت الرصاص ، وجدناها موثقة اليدين مذبوحة. انتزعوا سروالها، واعتقد أنهم اغتصبوها. أما أفراد عائلتها فلم نجد لهم أثراً.«تعال معي أريك كيف قتلوا أبو علي مقداد... قتلوه وقطعوا يديه بالبلطات.. فصلوا رأسه عن جسده». اضحك يا أبو علي... وراك رجال راح ينتقموا... استفردوا فينا يا ابو علي بعد ما راح الأبطال. كانت أم كايد تندب «ابو علي» المذبوح والى جانبه بركة من الدماء... وعلى بعد مترين كان رأسه منتصبا وقد شوهت ضربات السكين معالم وجهه.

«.....» لبناني رفض ذكر اسمه

«كنت وزوجتي نغادر مخيم «شاتيلا» بعد زيارة لأقربائي هناك. وجاء المسلحون في سيارات عسكرية إسرائيلية. كانوا يرتدون لباسا مدنيا. بدأوا يطلقون النار على كل جسم يتحرك ركض أبناء المخيم في كل اتجاه طالبين النجاة. انهمر علينا الرصاص ونحن نركض. ولكننا لم نتوقف. وصلنا إلى مشارف المخيم من الجهة الشرقية. فوجئنا بمجموعة من الاسرائيليين يقيمون حاجزا على الطريق. تقدموا مني فأبرزت هويتي اللبنانية على الفور. ولكنهم انهالوا علي ضربا بالهراوات. حاولت زوجتي أن تصرخ فلم تستطع . كان الدم ينزف من صدرها. بصقوا عليها، وراحوا يتحدثون بلغة لم أفهم منها شيئا. وفي هذا الوقت صاح أحدهم مشيرا الى عائلة كانت تحاول الخروج من المخيم، وانطلق هو ورفاقه وراء العائلة وهم يطلقون الرصاص.

وكانت هذه فرصتنا، تحاملت على نفسي، وساعدت زوجتي على النهوض، كانت كلما سارت خطوتين تقع على الأرض، تمكنا من الوصول الى الطريق الآخر. ولكن زوجتي سقطت صريعة. وجلست بجوارها أبكي، الى أن جاءني رجل وشدني الى بيته القريب».

«حسين المقداد» لبناني

«وقفت دقائق وسط الشارع، لا أدرى أين أتوجه، أفقت على صراخ امرأة وهي تشدني بقوة من قميصي وتقول : اهرب... إنهم يذبحون الجميع... لماذا تقف كالابله». وحاولت أن أستوضح الأمر لكنها غابت بين الناس»

بدأت أركض. سمعت صوتا يقول : «قف والا قتلناك». حاولت الالتفات، سمعت أصوات طلقات نارية، وظللت أركض. بدأت أشعر بثقل في ساقي اليسرى، وأن سائلا ساخنا

ينساب عليها... ولحقت بالنساء والأطفال والشيوخ الهاربين. وبدأوا ينظرون الى ويتهامسون. اقترب مني أحد الرجال وقال : إنك تنزف، يجب أن تذهب الى المستشفى».

بعد ثلاثة أيام، قال لي احد أقربائي : «لقد نسفوا بيتك، ووجدنا زوجتك مربوطة ومذبوحة وسكاكين القتلة عملت في أجساد أطفالك... لقد تمكنا من دفنهم... وبعد أن تشفى يمكنك زيارتهم».

«يسرية عطية العموشي» مصرية

«دخلوا ملجأين بالقرب من مستشفى عكا، وقتلوا جميع العائلات التي كانت بداخلهما ثم قاموا بنسف الملجأين بالديناميت».

«سمعت أصوات الانفجارات عند الساعة السادسة مع حلول الظلام. لا أعرف كيف حملتني ساقاي على الهرب. وعدت يوم السبت، ووجدت رجال الاسعاف ينتشلون الجثث. لم يكن سهلا التعرف على أي من الضحايا».

«.....» لبنانية

كنت في الملجأ مع زوجي وأولادي الخمسة، حيث اختبأ ما يزيد عن سبعين شخصا أثناء القصف الوحشي. ابنة الجيران واسمها «عايدة أبو ردينة»، وتبلغ من العمر تسعة عشر عاما، قالت : «سأخرج لاحضر بطاقات الهوية، أنا فتاة ولن يعترضوني».

وبعد لحظات سمعنا طلقات الرصاص وصرخة تبعها صمت، وصمم والدها العجوز أن يخرج لكي يستطلع الأمر. حاولنا منعه دون جدوى، وخرج ولاقى مصير ابنته عايدة.

حبسنا أنفاسنا ولم يقو إنسان منا على التحرك داخل الملجأ خوفا من اكتشاف أمرنا. لكنهم قدموا. طلبوا منا الخروج من الملجأ. قلنا لهم نحن نسوة ومعنا أطفال. لكنهم أصروا على خروجنا. فرزوا الرجال والأولاد. طلبو منهم الانبطاح على الارض. ورشوهم بالرصاص. صرخنا وركضنا لحماية رجالنا. لكنهم لم يرحمونا، قتلوا امرأتين وأصابوا أكثر من ثلاث نساء بجراح.

بعد ذلك أخذوا ثلاث فتيات وربطوهن بالحبال، واغتصبوهن على مرأى منا.

«منير ...» فلسطيني

(منير فتى فلسطيني في الثالثة عشرة من عمره. استشهد والده وشقيقه في مذبحة تل الزعتر سنة 1976، وانتقلت العائلة الى مخيم الرشيدية قرب صور. ثم انتقلت مرة ثانية الى مخيم شاتيلا بعد الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان سنة 1978)

«كنت ووالدتي وشقيقي وشقيقاتي الثلاث في المنزل عندما بدأت القذائف تتساقط في كل مكان. فتوجهنا الى ملجأ قريب، تجمعت فيه تسع عائلات أخرى. في الساعة السابعة والنصف جاء المسلحون، وطلبوا منا أن نخرج من الملجأ. كان المخيم مضيئا كأننا في وضح النهار.

كانوا يتحدثون العربية بلهجة أهالي جنوب لبنان. كانوا يرتدون زيا عليه صورة شجرة أرز على الكتف اليمنى. وشارة مستديرة عليها كتابات في أعلى الصدر. ولم أتمكن من قراءة المكتوب على هذه الشارات.

بدأوا في فرز الرجال والنساء والاطفال. ووقف الرجال بمحاذاة الحائط وسرت أنا ضمن مجموعة النساء والاطفال.

وعند رحيلي تمكنت من مشاهدة أفراد الميليشيا وهم يضربون الرجال بالعصى. وكان الرجال يسقطون الواحد تلو الآخر.

«أخذونا الى محطة بنزين قريبة. وتركونا في حراسة بضعة رجال بعد أن قالوا: انتظرونا سنذهب لتناول العشاء».

«وما إن عادوا بعد ساعة حتى أطلقوا النار علينا. وقع الجميع على الأرض. عندئذ قالوا لنا : على الذين أصيبوا أن ينهضوا لننقلهم الى المستشفى. لم أنهض رغم إصابتي وهمست في أذن أمي، وكانت قد سقطت بجواري : لا تنهضي. إنهم كاذبون.

وبالفعل، فقد أطلقوا النار على الجرحى للاجهاز عليهم، وصوبوا عليهم ضوء كشافاتهم للتحقق من أنهم ماتوا جميعا. ووضعت رأسي على الأرض وحبست أنفاسي الى أن رحلوا. وقضيت الليل بجوار أسرتي، من مات منهم ومن كان يحتضر. ولم أشعر بموت أمي.

وفي صباح يوم الجمعة عادوا لكي يضعوا علينا أغطية. ولاحظ أحدهم أنني أرتعش. فأطلق على النار مرتين. لم تصبني الرصاصة الاولى، أما الرصاصة الثانية التي كانت مصوبة الى رأسي، فقد أصابت خدى الأيمن الذي كنت أضع عليه يدى. وأصابت الرصاصة سبابتي ولامست خدى ثم سقطت على الارض. وفرد القاتل الغطاء فوقنا فلم أعد أرى، ولكنني سمعتهم ينادون سكان المخيم طالبين منهم الخروج والتجمع في «المدينة الرياضية».

بعد ذلك رحلوا، ولم أعد أسمع شيئا. واغتنمت الفرصة لكي أنهض، وسرت في أول شارع ضيق، ودخلت أول منزل قابلني. وأردت تغيير ملابسي التي كانت ملوثة بالدماء.

فاجأني اثنان من الميليشيا، وصرخا في وجهي : «أنت لا تزال حيا، سوف نقتلك كما قتلنا الآخرين. اعطنا ما وجدته من ذهب ونقود». قلت لهم إنني لم أسرق شيئا، وكل ما فعلته

في المنزل هو تغيير ملابسي. وتوسلت اليهم أن يتركوني. سألني أحدهم : هل أنت لبناني أم فلسطيني ؟ فأجبته بأنني لبناني. فقال : أذهب لو كنت فلسطينيا لقتلناك.

«سرت نحو مخيم «صبرا» وأنا اعرج، وأمام المسجد وجدت شبانا من المخيم أخذوني الى مستشفى غزة».

في المستشفى غاب منير عن الوعي ولم يستيقظ الا في اليوم التالي، حيث وجد نفسه في مستشفى في وسط بيروت الغربية. فقد نقله الصليب الأحمر الدولي الى هناك.

ويضيف عمه الذي عثر عليه : «منذ يوم السبت الماضي وهو لا ينام، ويسألنا دائما : هل أنتم واثقون من أنهم لن يأتوا إلى هنا».

«علي خليل عفانة» : طفل في الثامنة

«كانت الساعة الحادية عشرة والنصف. سمعنا صوت انفجار كبير وتلاه صوت امرأة تئن. وفجأة اقتحموا منزلنا، واندفعوا كالذئاب يفتشون الغرف. صاحت أمي تستنجد، فأمطروها بالرصاص. مد أبي يده يبحث عن شيء يدافع به عن نفسه، لكن رصاصهم كان أسرع. لم أقو على الصراخ... فقد انهالوا عليه طعنا بالسكاكين.

«لا أدري ماذا جرى بعد ذلك. لكني وجدت نفسي في المستشفى كما ترانى، ملفوف الرأس والساقين».

«قال لي رفيق في المدرسة، كان في زيارة أمه في المستشفى، إن بيتنا تحول إلى أنقاض... جاءت خالتي أمس لزيارتي، فسألتها عن مصير إخوتي الثلاثة، ولكنها لم تجب... لقد ماتوا جميعا، أنا أعرف ذلك».

وحاول أن يغطي وجهه بيديه، كان يشعر أنه أكبر من دموع ساخنة انسابت بقوة على خديه الصغيرين.

«.....» فلسطيني

شيخ عجوز جاوز الستين من عمره يتكيء على عصاه... وكتف حفيدته السمراء، يسير بين أنقاض المخيم. والأسى مرتسم على تجاعيد وجهه.

«بحثت عن عائلتي داخل البيت بين الأنقاض، ولم أجد أثراً لأحد منهم. البيت تحول الى أطلال. قال لي رجال الاسعاف أن أتوجه الى مسجد المخيم أو المدينة الرياضية، للبحث عن عائلتي بين جثث الضحايا.

في المسجد وجدت بنتي مربوطة اليدين والقدمين، مذبوحة. الى جانبها طفلها الرضيع يشد صدر أمه... هو الآخر طعنوه بالسكين.

على بعد قدمين شاهدت زوجتي المسكينة.. كانت مذبوحة أيضا، يدها اليمنى كانت تمسك بذراع إحدى بناتي، يبدو أنها دافعت عن ابنتها. وبالقرب منهما كانت ترقد ابنتي الصغرى مضرجة بدمائها... تناثرت حولها أوراق ممزقة من القرآن الكريم... وقد تبللت بالدم».

«هؤلاء المساكين... اعتقدوا أن المسجد آمن فالتجأوا إليه».

«جميلة ....» لبنانية من مخيم شاتيلا

«يوم الخميس مساء سمعت الناس يركضون في الشارع وهم يصرخون. تسللت أنا وابنتي «أمل» إلى مستشفى عكا حيث قضينا الليل. وفي صباح يوم الجمعة عدت الى المخيم لأطمئن على والدي ووالدتي فعثرت عليهما جثة هامدة في الطريق».

حاولت الرجوع الى المستشفى. فأمسك بي أحد المسلحين. أبرزت له بطاقتي اللبنانية، فقادني الى بيت قريب، كان هناك أربعة اخرون، اغتصبوني جميعا».

«ليتهم قتلوني كما قتلوا أبي وأمي وأشقائي لقد قتل المجرومون 23 فردا من عائلتي».

فاطمة علي شمس الدين : لبنانية

«كنا في المنزل عندما ما بدأ إطلاق الرصاص. خرجت أبحث عن أختي، فوجدتها في الطريق جثة هامدة وقد اخترق الرصاص ظهرها. عدوت نحو المنزل لاخبر الجيران، وصرخت فيهم أن يهربوا، فقالوا لي : نحن لبنانيون ولن يصيبنا شيء. قضيت الليلة في المستشفى وعندما عدت في الصباح وجدتهم جميعا جثثا هامدة».

«أمينة أحمد حسين» : فلسطينية :

أعرف أن زوجي وابني البالغ من العمر 15 سنة قد قتلا، ولكني لم أعثر على حتى الآن على جثتيهما، سمعت صوت طلقات الرصاص يوم الخميس، خلال الليل كان المسلحون يستخدمون المشاعل لاضاءة طرقات المخيم، وفي يوم الجمعة ادركنا أنهم سيقتلوننا، ففررنا الى مستشفى عكا. اقتحم المسلحون المستشفى، وأخذوا معهم جميع الرجال الفلسطينيين، ومن بينهم ابن وزوجي. كانوا يسألون كل فرد عن جنسيته فإذا كان فلسطينيا أوقفوه بجوار الحائط. وكانوا يضربونهم بأعقاب البنادق، أخذوا النساء الى استاد المدينة الرياضية وأمروهن بعدم العودة الى المخيم.

حاولت العودة الى المخيم يوم السبت، وقتربت مع آخرين من نقطة تفتيش اسرائيلية. وقال لنا أحد الاسرائيليين : «لماذا لم ترحلوا مع المنظمة» إن هذا البلد ليس بلدكم».

«....» لبنانية ممرضة في مستشفى عكا :

«حاصروا المستشفى يوم الجمعة. حاول حارس المستشفى عم ابو سعيد أن يستوقفهم، لكنهم أمطروه بالرصاص. ظل يزحف دون أن يقوى على مساعدته أو الاقتراب منه أحد. وعبر مكبرات الصوت طلبوا من الجميع مغادرة المستشفى.

قرر عدد من الاطباء أن يخرجوا لمقابلة المسلحين والتفاهم معهم. رفعوا راية بيضاء، وتقدموا نحو مدخل المستشفى، لكن المسلحين قابلوا الراية والرداء الأبيض بقنبلة ألقوها بين أقدام الأطباء. سقط الاطباء على الارض، وكانوا ينزفون بغزارة. أخذت زميلة لي حجرا وألقته على القتلة وهي تصرخ بجنون، واندفعت نحو الاطباء لمساعدتهم، فأمسك بها المجرمون... صفعوها بقوة فسقطت على الارض وقد أغمي عليها، ومزقوا رداءها الأبيض، وجروها على الطريق الى الرصيف الآخر. واغتصبوها... تناوب عليها خمسة وحوش.

واقتحم عدد من المسلحين المستشفى، وطلبوا من الرجال الوقوف جانبا. حاول بعض الاطباء الأجانب مساعدتنا، لكن المسلحين سبوهم بالانجليزية والفرنسية والعبرية، وصفع أحدهم طبيبا نرويجيا وبصق عليه.

ساق المسلحون الرجال الى جهة مجهولة. أما نحن فقد حملونا في سيارة كبيرة توجهت الى سن الفيل. توقفت السيارة أمام مبنى كبير كان يرتفع على ساريته علم الكتائب. تقدم منا أحد الضباط وسأل المسلحين : «ما هذا ؟ جئتم بالنساء ؟ أريد الرجال». ورد عليه المسلحون : «فتناهم ياسيدي» ابتسم الضابط ابتسامة عريضة، وهنأ القتلة على ما فعلوه وقال لهم أنتم أبطال».

«مصطفى جبرا» : فلسطيني من مخيم شاتيلا :

«كان عددنا يقارب الثلاثين. اعتقلنا القتلة يوم الجمعة مساء. أمرونا أن نصطف عند جدار أحد المنازل. وبدأوا يطلقون علينا النار من أسلحة أوتوماتيكية. ولم نستطيع أن نراهم بسبب الظلام.

بعد رحيلهم، سمعت شخصا الى جانبي يئن. كان جريحا سقط فوقه أحد الضحايا، ساعدته على النهوض، وزحفنا الى منزل مهجور حيث مزقنا بعض الاقمشة وربطنا بها جراحنا النازفة. وفي الصباح جاء بعض أهل المخيم ونقلونا الى المستشفى.

«في صدري رصاصة عجز الأطباء عن إخراجها، وفي ذراعي وساق شظايا لرصاص متفجر. حاول الأطباء إخراج الرصاص لكن الشظايا ما تزال موجودة فيها».

«زوجتي وأطفالي الثلاثة مفقودون، لكن والدتي مريم تقول إنهم موتى، وتؤكد أن القتلة قطعوهم بالبلطات».

«وجنات زين عبد اللطيف» مصرية

«كان عدد كبير من المصريين يسكنون هنا في مخيم شاتيلا، وكثيرون منهم مازالوا مفقودين مع عائلاتهم، لكني عثرت على جثث العشرات منهم».

«لجأت إلى مستشفى غزة يوم الجمعة عندما علمت بالمذبحة، ولكنهم حاصرونا داخل المستشفى يوم السبت صباحا، وكان عدد اللاجئين الى المستشفى يزيد عن 1000 شخص، فصلوا الفلسطينيين عن الاجانب، وأقتادوهم رجالا ونساءا وأطفالا الى منطقة المدينة الرياضية. هناك وضعوهم في حفرة عميقة، أحدثتها صواريخ الطائرات خلال القصف الوحشي، طلبوا منهم الانبطاح داخل الحفرة، وصبت البنادق الرشاشة حممها داخل الحفرة... فيما راحت ثلاث جرافات اسرائيلية تدفن الاحياء والأموات... الكثير من الرجال حاول الافلات من الجحيم دون جدوى فقد كان القتلة يطلقون النار عليهم.»

«رأيت ذلك بعيني. فقد لجقت بهم، واختبأت خلف حائط قديم عملت أحداث القصف فيه بعض الثقوب، رأيت من خلالها ما جرى دقيقة بدقيقة».

«كاد أحد المسلحين أن يكتشف أمرى، فقد صرخت دون إرادة عندما مرت الجرافات على أجساد الاطفال والرجال والنساء».

«بقيت هناك فترة لا أدري مداها، مختبئة بين أكياس من القش، كنت في شبه غيبوبة لا أعني شيئا... أفقت على صراخ النسوة وهن يبحثن عن اقربائهن القتلى. أخبرت الصحفيين ورجال الاسعاف المدني، لم يصدقوني، ولكنهم عندما اكتشفوا الحقيقة طلبوا مني مغادرة المنطقة والاختباء».

ساعات الرعب في المستشفيات

في الساعات الاولى من مساء الخميس 16 سبتمبر (أيلول)، أشتد القصف على المخيمات وانتشر القتلة في الطرقات يطلقون النار عشوائيا على كل شيء يتحرك بما في ذلك القطط والكلاب والخيول. وأدرك سكان المخيمات أن المهاجمين هم عصابات من القتلة هدفها ابادتهم جميعا. حاول عدد كبير من الأهالي الفرار الى اماكن أكثر أمانا. فلجأت مجموعات

كبيرة منهم الى المستشفيات (مستشفى عكا ومستشفى غزة) والمساجد والملاجيء، أما بقية سكان المخيمات الذين كانوا في بيوتهم وقت الهجوم، وكان أغلبهم عائلات ذات أطفال صغار، فلم يعرفوا هوية المهاجمين، واعتقدوا أن الجيش اللبناني هو الذي دخل المخيم لجمع الاسلحة والتأكد من بطاقات الاقامة أو الهويات اللبنانية، ولذلك فقد احتموا في منازلهم، واستعدوا بالأوراق الرسمية التي تثبت شرعية وجودهم. وخاصة أنه لم يكن لديهم اسلحة.

هاجم القتلة المنازل، وأطلقوا النار على كل من استنجد أو حاول الدفاع عن نفسه، وذبحوا الباقين، كما هاجموا الملاجيء وأمروا كل من فيها بالخروج، ورصوهم بجوار الحيطان، وأجهزوا عليهم ببنادقهم، أما الملاجيء التي رفض من فيها الخروج، فقد نسفوها على كل من فيها بالديناميت.

طوال ليلة الخميس قضى اللاجئون في المستشفيات ساعات رهيبة وهم يتبادلون ما رأوه من رعب وأهوال.

مستشفى عكـا

يقع مستشفى عكا على الحدود الجنوبية لمخيم شاتيلا، على بعد 200 متر تقريبا من المبنى الذي اتخذه الاسرائيليون مركزا لهم. وقد ذكر أحد أطباء المستشفى أنه ابتداء من الساعة السادسة من مساء الخميس بدأ سيل من الجرحى يتدفقون على المستشفى، وأن أحد الجرحى وهو طفل صغير أخبره أن الشارع الرئيسي في مخيم «شاتيلا» يمتلىء بالجثث، وأضاف الطبيب أنه في ذلك الوقت كان ملجأ المستشفى مزدحما بما يزيد عن 500 شخص من سكان المخيم الهاربين من القصف والرصاص، وأن حالة الرعب السائدة كانت تتزايد بقدوم لاجئين جدد، ووصفهم لما رأوه في الطريق.

في الصباح الباكر كانت حالة الرعب في المستشفى قد وصلت الى درجة لا تطاق، وخاصة لقرب المستشفى الشديد من مواقع الاسرائيليين وحواجز المسلحين. لذلك فقد فر بعض المدنيين متوغلين في المخيم شمالا الى أماكن أكثر أمانا.

وقد ذكرت إحدى الممرضات في مستشفى عكا أن الرعب كان شاملا لدرجة أن «مخيم شاتيلا» قد خلا تقريبا من السكان أثناء الساعات الأولى من صباح الجمعة. فالطوابق العليا للمستشفى تطل على المخيم، وقد تعود العاملون في المستشفى أن يروا ويسمعوا حركة وأصوات المخيم كل يوم. أما في هذا اليوم فقد كانت الطرقات صامتة، لم يكن في الطريق شخص واحد. ولا أثر للحياة في المساكن المواجهة للمخيم.

حاول عدد من الأهالي الفرار الى خارج المخيم، ولكن الاسرائيليين المحاصرين للمخيم والمسلحين الذين أقاموا الحواجز على كل مداخل المخيم، ردوهم على أعقابهم تحت تهديد

السلاح. فقد صور فريق من التليفزيون الدنماركي، كان موجودا بالصدفة أمام مدخل شاتيلا في الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم الجمعة، عددا من المسلحين يمنعون سيارة شحن ممتلئة بالنساء والأطفال من الخروج من المخيم. وكان الاطفال يصرخون، والنساء يبكين ويتوسلن وأيديهن على وجوههن. بينما وقفت الدبابات الاسرائيلية على مسافة قريبة من المسلحين.

وعلى نفس الشريط صور الفريق رجلا عجوزا يلبس طاقية بيضاء وهو يرتد الى المخيم مبتعدا عن المسلحين الذين وقفوا مترصدين وسلاحهم مصوب نحوه. وقد تعرف المراسلون الصحفيون على الرجل العجوز هو عدنان[25] فقد شاهدوا جثته ممددة في أحد طرقات المخيم عندما سمح لهم بالدخول يوم السبت صباحا.

كذلك سجل الفريق التليفزيوني مشهدا لسيارة من سيارات الجيب التابعة للجيش اللبناني تحمل دورية من الجنود تقترب من مدخل المخيم، ولكن أحد المسلحين أطلق عليهم النار، وأمرهم بالنزول من السيارة، وساقهم أمامه إلى داخل المخيم وهم رافعون أيديهم، وبقيت سيارتهم ورقمها 58293 مهجورة في الطريق.

هاجم المسلحون مستشفى عكا ثلاث مرات يوم الجمعة وقد علق احد الأطباء الأجانب في المستشفى على ذلك بقوله ان المجموعات الثلاث كانت مجموعات مختلفة ترتدي زيا مختلفا، وإنه كان واضحا أنه لا يوجد تنسيق بين المجموعات الثلاث.

حوصر المستشفى في الساعة 11،20 من صباح يوم الجمعة وأمر المسلحون كل من في المستشفى بالخروج، حاول أربعة من الأطباء التفاهم مع المهاجمين. فخرجوا بردائهم الأبيض وهم يرفعون راية بيضاء، ولكن القتلة القوا عليهم قنبلة يدوية، فقتلت ثلاثة منهم وجرحت الرابع. واقتحم القتلة المستشفى وطلبوا من العاملين الاجانب أن يتوجهوا الى مدخل المخيم لاستجوابهم، وعلى باب المخيم تحقق الجنود الاسرائيليون من أوراقهم الرسمية. وكان هناك عدد من الدبلوماسيين النرويجيين الذين تدخلوا لاخلاء سراح النرويجيين العاملين في المستشفى أما الباقون فقد سمح لهم بالعودة الى المستشفى.

وعندما عاد العاملون الاجانب الى المستشفى اكتشفوا اختفاء جميع الذين كانوا في الملجأ وعددا من الجرحى وطبيبين فلسطينيين وممرضتين لبنانيتين. وقد عادت واحدة من الممرضات بعد ذلك، وروت كيف اغتصب عشرة من المسلحين زميلتها ثم أطلقوا عليها النار. كما عثر العاملون في المستشفى على جثة إحدى الممرضات الفلبينيات مقتولة وملقاة بجوار المستشفى.

في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الجمعة هوجم المستشفى مرة أخرى. وقام المجرمون بإطلاق النار على اثنين من الاطباء الفلسطينيين وأحد المدنيين الجرحى، وهاجموا الجرحى الآخرين وانتزعوهم من أسرتهم وجروهم في ممرات المستشفى.

وفي الساعة 3،55 جاءت مجموعة أخرى من المسلحين وسألوا عن الممرضات، فرد عليهم أحد الاطباء الاجانب بأن الممرضات قد هربن، فطلبوا تفتيش المستشفى. وعندما وجدوا صورة ياسر عرفات في غرفة الطبيب اتهموه بأنه إرهابي، وهددوه بالقتل، وأمروه باحضار الممرضات قبل الساعة السابعة مساء.

ولحسن حظ الطبيب ومن معه، أن فريقا من الصليب الاحمر الدولي تمكن من الوصول الى المستشفى في الساعة الخامسة مساء. وعند وصولهم، شاهدوا جثث الاطباء الثلاثة بالقرب من الباب وبجوارهم الراية البيضاء، وداخل المستشفى كانت هناك أربع جثث أخرى، وقام فريق الصليب الأحمر الدولي بإخلاء المستشفى ونقل الباقين من الاطباء والجرحى الى خارج المخيم.

وقد ذكر المراسلون الصحفيون الذين تمكنوا من الاقتراب من مستشفى عكا يوم الجمعة مساء، أن مبنى المستشفى قد احترق.

مستشفى غـــزة[26]

يقع مستشفى غزة في أقصى شمال المخيم، وقد وصل اليه القتلة صباح السبت 18 سبتمبر (أيلول) وكانوا في عجلة من أمرهم، فقد انقضت المهلة التي منحها لهم رؤساؤهم من ضباط الجيش الاسرائيلي حتى يتموا مهمتهم.

ذكرت احدى الممرضات الأجنبيات أن عدد المدنيين الذين احتموا في المستشفى، بعد أن دمرت منازلهم في مخيمي صبرا وشاتيلا، كان يزيد على 1000 شخص، هذا بالاضافة الى اللاجئين الذين لم يجدوا مكانا لهم في المستشفى فاحتموا في المباني المجاورة.

في الساعة السادسة من صباح يوم السبت أتى المسلحون بمكبرات الصوت، وحاصروا المستشفى والمناطق المحيطة، وأعلنوا أنهم جنود اسرائيليون، وأمروا الجميع أن يخرجوا من مخابئهم وأكدوا أنه ليس هناك مبرر للخوف.

وقد ذكرت الممرضة الاجنبية أن المسلحين كانوا يلبسون الخوذات الاسرائيلية، ويحملون البنادق الاسرائيلية وأنهم اقتحموا المستشفى، واعتقلوا ما يقرب من ألف مدني، و 82 من الجرحى، و 55 طبيبا وممرضا وممرضة، وأمروهم بالخروج من المستشفى، وعندما احتج الفريق الطبي بأنه لابد من بقاء بعض العاملين بجوار الجرحى والمرضى، سمح المهاجمون ببقاء اثنين من العاملين.

اقتاد المسلحون أسراهم تحت تهديد السلاح الى الشارع الرئيسي في «مخيم شاتيلا» وهناك تم توزيعهم الى ثلاث مجموعات.

المجموعة الأولى كانت من الأطباء والممرضات الاجانب، طلب منهم المسلحون أن يخلعوا اردیتهم البيضاء، واقتادوهم عبر الشارع الرئيسي للمخيم تحت تهديد السلاح وأخذوا يسبونهم ويعنفونهم لتعاملهم مع الفلسطينيين. وشك المسلحون أثناء الطريق في طبيبين من المجموعة، وعندما اكتشفوا أن واحدا منهما فلسطيني والآخر سورى، أطلقوا النار عليهما في الطريق، بعدما طلبوا من الأجانب أن يلتفتوا الى الجهة الأخرى.

اقتاد المسلحون الاطباء الى مبنى من مباني الامم المتحدة خارج المخيم لاستجوابهم. وهناك قام آخرون بمراجعة أوراقهم الرسمية من جنسياتهم وسألوهم : «هل أنتم مسيحيون ؟ أنكم قذرون لأنهم تعملون مع الفلسطينيين».

بعد ذلك اقتاد المسلحون الاطباء الى مقر القيادة الاسرائيلية على مدخل المخيم.

وذكر الأطباء أن الجنود الاسرائيلين احتجزوهم فترة من الوقت قبل أن يسمحوا لهم بالرجوع الى المستشفى.

المجموعة الثانية كانت من المواطنين اللبنانيين وقد اقتادهم المسلحون حيث تم التحقيق معهم. وكان المحققون يشطبون وجوه الاسرى بالسكاكين كلما أجابوا باجابات "لا تعجبهم. وقد تم الافراج عن بعض اللبنانيين، أما الباقون فق نقلوا الى معسكرات الاعتقال في الجنوب.

المجموعة الثالثة كانت من الفلسطينيين. وقد اقتادهم القتلة الى مكان ما خارج المخيم وعبر الخطوط الاسرائيلية. ولم يعرف أحد مصيرهم. ويعتقد المراسلون الصحفيون أنهم قتلوا ودفنوا في مقبرة جماعية خارج المخيم.

عندما وصل فريق الصليب الاحمر الدولي الى مستشفى غزة لنقل العاملين والنزلاء، لم يكن في المستشفى من الـ 1137 شخصا الذين كانوا موجودين في الصباح سوى 25 جريحا منعتهم اصاباتهم البالغة من الحركة، و 15 طبيبا أجنبيا.

المجرمون ... وأكاذيبهم

تلقى العالم أنباء المذبحة الرهيبة بعد ظهر يوم السبت 18 سبتمبر (أيلول)، وكانت ردود فعل الجرائد والمجلات العالمية هي الاستنكار والادانة والتنديد ببشاعة الجريمة ووحشية المجرمين.

الأكاذيـــب

أعرب الرئيس ريجان عن غضبه واشمئزازه، والرعب الذي أصابه عندما سمع بالمذبحة. واتهم اسرائيل بأنها خرقت الاتفاقيات التي عقدتها مع حبيب. وصرح بأن اسرائيل تعهدت بعدم دخول بيروت الغربية بعد خروج الفلسطينيين

وأتى هذا التصريح بعد يوم حافل، شارك فيه ريجان في مهرجان انتخابي في ولاية نيوجرسي، حيث برر الاجتياح الاسرائيلي لبيروت الغربية، بقوله إن الجيش الاسرائيلي كان يتعرض لهجمات المقاتلين اللبنانيين التابعين للاحزاب اليسارية، وهو تبرير لم تدعه اسرائيل نفسها[27].

ورد السفير الاسرائيلي في واشنطن على تصريح الرئيس ريجان قائلا إن إسرائيل لم تتعهد بشيء من ذلك[28].

أما في إسرائيل فقد صرحت وزارة الخارجية في ساعة متأخرة من الليل، بعد صمت دام طوال النهار بأن «اسرائيل تدين المذبحة، وأن قوات الدفاع الاسرائيلية قد فعلت كل ما في وسعها لايقاف المذبحة بمجرد علمها بها[29]

وادعى بيجين أنه لم يسمع عن المذبحة إلا من نشرة الاذاعة البريطانية يوم السبت مساء.

وفي مجلس الأمن قال يهودا بلوم ممثل اسرائيل في الأمم المتحدة، إن الجيش الاسرائيلي كان متمركزا غربي المخميات الفلسطينية، تاركا الجانب الشرقي مفتوحا أمام الجيش اللبناني الذي لم يتول السيطرة على المنطقة كما كان متوقعا[30].

وحمل رئيس الاركان الاسرائيلي رفائيل ايتان الولايات المتحدة الامريكية مسئولية المذبحة، قائلا إنها عرقلت الأتصالات المباشرة بين الجيش اللبناني والجيش الاسرائيلي. لذلك لم يتسلم الجيش اللبناني المنطقة.

بينما حملت وزارة الخارجية الاسرائيلية المسئولية للجيش اللبناني، لأنه رفض تسلم المخيمات بحجة أنه ليس مستعدا أو منظما بدرجة كافية. وأدعت أن ما حدث كان نتيجة لرفض الجيش اللبناني.

وردت الولايات المتحدة على ذلك بقولها إن الجيش اللبناني كان مستعدا للسيطرة على المخيمات لولا الاجتياح الاسرائيلي لبيروت الغربية يوم الثلاثاء 13 سبتمبر (أيلول)[31].

وأدان متحدث باسم ميليشيا الكتائب المذبحة، ونفي اشتراك جنود الكتائب فيها.

وشجب الرائد سعد حداد، الحليف المخلص لاسرائيل، المذبحة، وقال إنها عمل وحشي. ونفي أن تكون قواته التي تسلحها وتدربها وتنفق عليها إسرائيل، قد اشتركت في قتل النساء والأطفال. وقال إن قواته لديها أوامر مشددة بعدم تجاوز مدينة صيدا شمالا.

وهكذا اكتملت حلقة الاكاذيب التي أحكمها شركاء الجريمة، ولكن أكاذيبهم لم تدم طويلا فقد بدأت تنهار الواحدة بعد الأخرى، وبدأ المجرمون يتراجعون في أقوالهم، كلما انكشفت كذبة جديدة.

انفضاح الاكاذيب

ذكرت جريدة الهيرالديبيون أن ايريل شارون تحدث يوم الجمعة 9/20 عن التخلص من 2000 «إرهابي» لا يزالون في بيروت بعد خروج منظمة التحرير الفلسطينية. وأضافت الجريدة أن أحد الضباط الاسرائيليين قد صرح من موقعه على حدود مخيم شاتيلا أنه يعمل على أساسين رئيسيين : أولهما أن المنطقة يجب أن تنظف، وثانيهما أن الجيش الاسرائيلي يجب ألا يتحمل مزيدا من الضحايا. ونسي الاسرائيليون أنهم دخلوا الغربية بحجة المحافظة على الأمن ومنع وقوع المذابح[32].

وذكرت إحدى الصحف الامريكية أن إسرائيل نقلت مجموعة من قوات سعد حداد من جنوب لبنان الى بيروت مساء الخميس[33]

ونشرت صحيفة الجارديان على لسان المراقبين الدوليين في بيروت أنهم شاهدوا ألفا من جنود المليشيات يرتدون زى الكتائب بالقرب من المخيمات قبل وبعد المذبحة. ويدل موقعهم على أنهم أتوا عبر الخطوط الاسرائيلية في المطار[34].

وقد علقت الجريدة على ذلك بقولها أن من شاهد مواقع الاسرائيليين يوم الجمعة 9/17 على بعد أقل من ربع ميل من المخيم، لا يستطيع أن يصدق أنهم لم يسمعوا ولم يروا المذبحة، فقد أقام الاسرائيليون مركزين للقيادة على سطح بنايتين عاليتين تكشفان المخيم تماما. ولابد أنهم شاهدوا ما قام به المسلحون، وخاصة أنهم نفذوا جزءا كبيرا من مهمتهم في وضح النهار، ولابد أنهم سمعوا أيضا صرخات المحتضرين.

وعلقت جريدة التايمز على النفي الاسرائيلي قائلة إن الاسرائليين كانوا يسيطرون تماما على المناطق المحيطة بالمخيمين. وأنهم دخلوا بيروت الغربية بحجة أن وجود قواتهم يحول دون وقوع أي قتال أو سفك دماء في بيروت الغربية. ومن الواضح أن مرتكبي الجريمة لم يكونوا عددا قليلا من المسلحين المعزولين. فنطاق العملية واستخدام الجرافات يوحى بدرجة من التنظيم ووجود وحدة أو وحدات. ولا يمكن تصديق أن مجموعة بهذا الحجم قد تسللت الى المخيمين دون علم القوات الاسرائيلية المحيطة بالمنطقة[35].

وأذاع التليفزيون الاسرائيلي شريطا إخباريا يظهر قوة عسكرية مشتركة من عناصر الكتائب وجيش سعد حداد تقدر بلوائين (1800 جندي) تدخل المخيمات تحت سمع القوات الاسرائيلية وبصرها.

وسأل الصحفيون إيتان رئيس الأركان الاسرائيلي، لماذا سمح جيش الدفاع الاسرائيلي لجنود الكتائب بدخول المخيم ؟ فقال : نحن لانصدر أوامر للكتائب، ولسنا مسؤولين عنهم، فهم لبنانيون ولهم حق التصرف في لبنان كما يعجبهم[36].

وفي اليوم التالي نشرت جريدة الديلي تلجراف نص بيان أذيع من محطة جيش الدفاع الاسرائيلي في الدقيقة الثانية عشرة بعد منتصف ليلة الخميس/ الجمعة. وسجله قسم الرصد في هيئة الاذاعة البريطانية. يقول البيان «لن يقوم جيش الدفاع الاسرائيلي الليلة بعمليات «تنظيف» لمخيمي صبرا وشاتيلا، فقد تقرر أن يعهد لقوات الكتائب القيام بعملية التنظيف. «وأضاف المذيع» أن الجيش الاسرائيلي الآن يحيط ببيروت الغربية تماما، وقواته تسيطر على مفارق الطرق والطرق الرئيسية. وبقيت عملية «تنظيف» البيوت الموجودة في المنطقة، وكما ذكرنا فقد عهد لقوات الكتائب القيام بهذه المهمة».

وقد علقت الجريدة على هذا البيان قائلة : «ويتضح من ذلك أن الجيش الاسرائيلي قد أمر الكتائب أن تقوم بعملية «تنظيف» وليس اعتقال القوات الفلسطينية الباقية. كما يتضح أيضا أن المنطقة المذكورة منطقة صغيرة، وأن الاسرائيليين كانوا يسيطرون على الطرقات سيطرة كاملة. ومن الصعب أن نصدق أنهم لم يعرفوا أن عملية التنظيف قد تحولت الى مذبحة رهيبة، كما أن محتويات البيان المذاع تتعارض مع ماقاله إيتان يوم الاحد «إننا لا نصدر أوامر للكتائب. ولسنا مسئولين عنهم»[37].

كذلك نقلت الجريدة ذاتها عن مراسل جريدة يد يعوت احرونوت الاسرائيلية، أن القرار بإدخال قوات الكتائب الى المخيمات الفلسطينية وافق عليه مجلس الوزراء الاسرائيلي بالاجماع في جلسة خاصة عقدت ليلة الخميس 1982/9/16.

وفي يوم الاربعاء 9/22 اعترف شارون أنه وافق على دخول الكتائب الى المخيمات لكي يعتقلوا الارهابيين الباقين دون التعرض للنساء والأطفال، وبرر ذلك بأنه كان يريد الحيلولة دون وقوع المزيد من الضحايا بين قوات الدفاع الاسرائيلية. واعترف أن الجيش الاسرائيلي اشترك في تخطيط العملية وتقديم المساعدات. وقال إن اجتماعات تنسيق تمت بين ضباط اسرائيليين وضباط كتائبيين. وأضاف أن القوات الاسرائيلية أطلقت قذائف مضيئة لمساعدة الكتائب على التقدم داخل المخيمات[38].

واشتكى شارون من رفض الكتائب تقديم تقرير عما حدث.

وفي اليوم التالي أكد المراسل العسكري لجريدة الجرو سالم بوست الاسرائيلية أنه رأى بعينه برقية مرسلة الساعة 11 مساء الخميس 9/16 من مقر قوات الكتائب في شاتيلا الى مقر القيادة الاسرائيلية في بيروت الشرقية. وتقول البرقية : حتى الآن قتلنا 200 مدني وإرهابي، وأضاف المراسل أن البرقية تم توزيعها في الحال على 20 ضابطا من المسئولين في مقر قيادة الجيش الاسرائيلي، كذلك أرسلت نسخة منها الى تل أبيب[39].

ونشرت الجرائد الاجنبية ما كتبه «زئيف شيف» مراسل جريدة ها ارتز الاسرائيلية بأنه سمع بالمذبحة يوم الجمعة صباحا، وأنه قام بتوصيل الاخبار الى زيبورى وزير المواصلات الاسرائيلي الذي قام بدوره بتوصيلها الى شامير وزير الخارجية الاسرائيلية.

ونفي وزير الخارجية الاسرائيلي وصول أية معلومات عن المذبحة يوم الجمعة صباحا. ثم تراجع بعد ذلك وقال إن المعلومات وصلت اليه، ولكنه عندما تحقق منها وجد أنها إشاعات كاذبة(40)

وفي مقابلة صحفية مع الرائد سعد حداد، صرح أنه كان في المطار يوم الجمعة 9/18 حيث نقلته طائرة هليكوبتر اسرائيلية، وأنه قدم للعزاء في بشير الجميل.

وأضاف سعد حداد أنه ربما كان بعض رجاله يعملون مع القوات الاخرى في بيروت، وأكد أن قواته لا تفعل شيئا دون تنسيق مع الجيش الاسرائيلي،وأ ن كل خطوة تقوم بها يجب أن يتم تنسيقها مع القوات الاسرائيلية أولا(41)

وذكر الدكتور بول موريس الطبيب في مستشفى غزة، في شهادته أمام لجنة التحقيق الاسرائيلية أن عدة جنود اسرائيليين أكدوا له اشتراك رجال سعد حداد في المذبحة(42).

ونسبت صحيفتا الواشنطون بوست ونيويورك تايمز الى أمين الجميل الذي خلف شقيقه بشير الجميل في رئاسة الجمهورية، أنه قال لدبلوماسي أمريكي خلال عطلة الاسبوع أن بعض قوات الكتائب كانت في مخيم شاتيلا وقت المذبحة(43).

وادعى ايريل شارون أمام لجنة التحقيق أن الجنود الاسرائيليين لم يروا شيئا، أنهم فقط سمعوا الطلقات النارية في المخيم، واعتقدوا أنها صادرة من المقاومة المسلحة في المخيم، وأنهم تدخلوا لايقاف القتال فور عملهم بالمذبحة. وقدم الى لجنة التحقيق الصور التي تثبت أن الجنود الاسرائيليين لا يمكنهم أن يروا شيئا من مواقعهم المطلة على المخيمات(44). ولكن المراسلين الصحفيين جميعا أثبتوا كذب كلامه، فقد ذكر مراسل الجرو سالم بوست الذي زار المخيم بعد المذبحة مباشرة، أن وضع الجثث داخل البيوت وأمام الجدران، والثقوب التي احدثها الرصاص في الجدران وراء الضحايا، تؤكد أن الضحايا لم يموتوا وهم يقاتلون(45).

وأقر أحد الضباط الاسرائيليين أن جنوده الذين كانوا يراقبون المخيم شاهدوا عمليات القتل، والجثث الملقاة في الازقة يوم الجمعة صباحا. ولكنه ادعى. أنه اتصل في الحال بمسئول الكتائب في المنطقة، وطلب منه إيقاف القتال في صبرا وشاتيلا، وأن الجيش الاسرائيلي منع دخول قوات كتائب جديدة الى المخيمات يوم الجمعة مساء.

ولكن مراسل الجرو سالم بوست، والمراسل العسكري للتليفزيون الاسرائيلي، أكدا أنه في يوم الجمعة كانت قوة من جنود الكتائب موجودة ومجهزة بالدبابات، وحاملات الجنود المدرعة، ومدافع المورتر في ممر المطار. وأن جزءا من هذه القوة دخل المخيمات يوم الجمعة مساء.

وقال مراسل التليفزيون إن الضباط الاسرائيليين لم يطلبوا من قوات الكتائب وقف اطلاق النار في المخيم إلا يوم السبت صباحا. وأضاف أن رئيس قوات الكتائب رد قائلا إنه قد فقد السيطرة على جنوده(46).

وروى المراسلون الصحفيون، الذين كانوا موجودين على مدخل المخيم طوال يوم الجمعة 9/17، عدة روايات تثبت علم القوات الاسرائيلية بالمذبحة وتورطها فيها.

فقد ذكر مراسل مجلة نيوزويك أنه سأل أحد المسلحين عما يجري، لدى سماعه الطلقات النارية داخل المخيم، فكان جوابه : إننا نذبحهم[47]

وذكر مراسل صحفي آخر أنه رأى نساء المخيم يستعطفن أحد الجنود الاسرائيليين أن يتدخل لمنع المسلحين من ذبح أطفالهم وأزواجهم، وكان رد الضابط الاسرائيلي أنه لا يحق له التدخل في الشؤون الداخلية اللبنانية[48]

وذكر عدة مراسلين صحفيين أن الجنود الاسرائيليين منعوهم من دخول المخيم يوم الجمعة بحجة «ان القتال لايزال مستمرا». وقال مراسل مجلة تايم إنه كان يسمع رشات البنادق وانفجار القنابل وكان واضحا أن الطلقات النارية تصدر من جانب واحد بينما كان الجنود الاسرائيليون يجلسون باسترخاء أمام مدخل المخيم، ولا يبدو عليهم القلق[49].

وذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن القوات الاسرائيلية تولت مهمة تزويد الميليشيات بالماء والطعام عندما كانوا يخرجون من المخيم للراحة. كما أطلق الجيش الاسرائيلي القذائف المضيئة لتوفير الأنارة للمسلحين في المخيمات. وكان معدل القذائف المطلقة قذيفتين كل دقيقة [50].

وأضاف المراسلون أيضا أن الجرافات والشاحنات كانت تحمل جثث الضحايا لدفنها خارج المخيم تحت سمع وبصر القوات الاسرائيلية[51]

اعترافـــات

وأمام هذا السيل من الادلة، اعترف شارون وزير الدفاع الاسرائيلي بأن مجلس الوزراء الاسرائيلي وافق على اشتراك قوات الكتائب في الحرب بجانب القوات الاسرائيلية قبل ثلاثة أشهر، وفي 15 يونيو (حزيران) 1982، وأن مجلس الوزراء أكد القرار في الاجتماعات التالية، كما اعترف شارون بأنه ناقش القرار مع موريس ارير المبعوث الامريكي[52]. وأضاف شارون أنه في يوم 1982/9/15 اتفق هو ورفائيل ايتان رئيس الاركان الاسرائيلي على ادخال قوات الكتائب للمخيمات لتنظيفها من 2000 مقاتل فلسطيني، وأن مجلس الوزراء الاسرائيلي صادق على القرار في اجتماعه الذي تم مساء 1982/9/16 [53].

واعترف أمير درورى قائد القوات الاسرائيلية في لبنان بأن شارون وزير الدفاع اجتمع مع قادة قوات الكتائب صباح الأربعاء 1982/9/15، حيث تم الاتفاق على دخول الكتائب الى المخيمات. وأضاف أنه تم الاتفاق في اجتماعات لاحقة بين أموس بارون قائد القوات الاسرائيلية في بيروت وبين قادة الكتائب على أن تتولى القوات الاسرائيلية إنارة المخيم وتغطية

العمليات بالقصف المركز. كما اتفق أيضا على تعيين ضابط اتصال اسرائيلي (من المخابرات الاسرائيلية) في مقر قيادة الكتائب، وضابط اتصال كتائبي في مقر قيادة أموس بارون الذي يطل على المخيمات.

كذلك اعترف دروري بأنه اشترك في اجتماع آخر في الساعة 3،30 من بعد ظهر يوم الجمعة 9/17، بحضور رئيس الأركان رفائيل إيتان، وبعض المسئولين في الكتائب، وقائد عملية المخيمات. وذكر دروري أن إيتان طلب من قائد العملية وقف القتال في المخيمات، ولكنه منحه مهلة حتى صباح السبت لمغادرة المخيمات «لأنه لم يكن هناك مبرر للاستعجال». وأضاف دروري أن المسئولين في الكتائب ذكروا في الاجتماع أن الامريكيين أيضا طلبوا منهم مغادرة المخيمات(54).

واعترف جرابونسكي، قائد إحدى الدبابات التي كانت تحاصر المخيمات أنه ما بين الساعة 8 و 9 من صباح الجمعة 9/17، رأى هو وطاقم دبابته المسلحين وهم يقتلون خمسة نساء وأطفال. وأنه روى الحادثة لقائد فرقته الذي رد قائلا : «نحن نعرف ذلك» وأمرهم بعدم التدخل.

وأضاف جرابونسكي أنه عند ظهر يوم الجمعة اقترب أحد المسلحين من الدبابة فسأله أفراد الطاقم لماذا تقتلون المدنيين فرد المسلح. «إن الحوامل يلدن إرهابيين. وعندما يكبر الاطفال يصبحون إرهابيين».(55)

واعترف آموس يارون قائد القوات الاسرائيلية في بيروت الغربية بأنه تسلم برقية من قائد العمليات في المخيم يوم الخميس الساعة 11 مساء تقول «حتى الآن تم قتل 300 مدني وإرهابي» وأضاف أنه سمح بدخول قوات جديدة الى المخيمين وأمداد المسلحين بأسلحة وذخيرة إضافية، وكان ذلك بعد الاجتماع الذي تم في الساعة 3،30 من بعد ظهر يوم الجمعة 9/17 وحضره إيتان ودروري، وهنأ فيه إيتان قادة الكتائب على أدائهم الممتاز، وسمح لهم بالاستمرار في مهمتهم حتى صباح السبت. كما وافق إيتان على اعطائهم جرافة «لتدمير المباني غير الشرعية في المخيمات»(56). وهكذا استمرت المذبحة 30 ساعة تقريبا، ولم يتوقف القتل حتى الساعة التاسعة من صباح السبت 1982/9/18. وبدأ القتلة يخرجون تدريجيا من المخيمات، ولم يبق شيء على قيد الحياة في صبرا وشاتيلا.

لن ننسى ... لن نغفر ... لن نركع

بصوت بارد أعلن ايريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلي أن القوات الاسرائيلية دخلت بيروت الغربية للقضاء على ألفين من المقاتلين الفلسطينيين، ادعى أنهم بقوا في العاصمة بعد

خروج قوات منظمة التحرير الفلسطينية وبحماس أعلن أن هذه المهمة تركت لميليشيا الكتائب.

اعترف المجرم بالاتفاق الجنائي على القتل العمد، وهي جريمة تعاقب عليها كل القوانين ليس لفرد واحد وانما لالفي انسان. وسواء استخدم المجرم في تنفيذ جريمته يده أو كلابه المسعورة، فقد قتل بالفعل ضعفي هذا العدد على الأقل.

إن الذين عذبوا وقتلوا بالرصاص والقنابل والبلطات والمدى تتراوح أعمارهم من شهر الى تسعين سنة. نساء ورجال وأطفال وشيوخ وحتى حيوانات، كل ذنبهم أنهم من سكان مخيمي «صبرا وشاتيلا». سكان جدد في هذين المخيمين. معظمهم جاء من قرى الجنوب أو من مخيمات أخرى بعد أن هدمت خلال الغزو الاسرائيلي الهمجي، وبعضهم جاء من الدول العربية الشقيقة يطلب العمل في لبنان، وحوصر أثناء الحرب في بيروت، وكلهم لم يجد مكانا خارج المخيمين. لو وجدوا أي مكان آخر لفضلوه بالتأكيد على الأكواخ المتهدمة التي حملت اسم صبرا وشاتيلا، والتي تعرضت أثناء الغزو لقصف مجنون بمختلف القنابل المدمرة ثلاثة أشهر متتالية.

لم يكونوا ارهابيين ولا مقاتلين، فالمقاتلون خرجوا من بيروت، بل كانوا أصلاء طيبين، صدقوا الوعود والعهود التي قدمها الكبار، أصلاء طيبون صمدوا وتحملوا ودعوا الله أن ينصر لبنان وفلسطين وتعطشوا لهدوء يعيدون فيه بناء ما هدم، فكان جزاؤهم الذبح.

أكثر من أربعة الآف ضحية... لكل منهم قصة، بعضها قصير جدا... ولد أثناء حصار بيروت وذبح وهو يرضع قبل أن يبلغ سن التمييز بين الاصوات أو الألوان. وبعضها طويل جدا... ولد في فلسطين في أواخر القرن الماضي، أجبر على الهجرة مرارا، دفن أبناء وأحفادا سقطوا شهداء على طريق العودة الى فلسطين، حمل ذاكرته وحاول الخروج من المخيم أثناء المذبحة، ذبح جهارا نهارا وتعرفت عليه كاميرات المصورين حيا ومذبوحا.

وعلى القارئ أن يتخيل القصص والتفاصيل. على القارىء أن يتخيل عبارة مثل «كان بالمستشفى حوالي ألف مدني وعندما عدنا كانوا قد أخذوا وقتلوا»... ألف في عبارة واحدة... على القارىء أن يقرأ هذه العبارة الآف المرات، لأن هذه الكلمة الصغيرة تعني ألف إنسان... ألف حكاية... ألف مأساة..

إلى أصحاب الضمائر الحية، الى الذين يحترمون حياة الانسان الفرد احترامهم لحياة كل البشر، نقدم هذا الكتيب.

لم تكن هذه المذبحة هي الأولى في تاريخ فلسطين الحديث. وواجبنا أن نجعلها الاخيرة.

لقد هزت المذبحة ضمير كل من سمع بها في العالم وفي الوطن العربي وحتى داخل المجتمع الصهيوني.

وعلينا أن نواصل التفكير بها، أن نجعل منها جرحا في ضمير العالم لا مجرد واقعة في تاريخه.

علينا أن نوصل أخبارها الى كل من لم يسمع عنها، ونذكر بها كل من سمع عنها، ونجمع حولها كل من تحرك لادانة مرتكبيها.

علينا أن نحشد اليهود الذين أدانوها ونوسع صفوفهم، وخاصة أولئك الذين خرجوا الى الشوارع متظاهرين ضد مرتكبيها.

علينا أن نبصر الرأي العام الغربي عامة والامريكي خاصة بما جرى، وبضرورة توقيع العقاب على المجرمين.

وعلينا في المقام الأول أن نوصل أخبار المذبحة الى كل عربي وعربية، استصراخا للهمم، وعوة لرص الصفوف، لكي نمنع جرائم أخرى من أن يجرى تنفيذها والاعداد لها ضد أمتنا العربية.

فلنواصل فضح القتلة، ولندمغ بالجريمة قادةالكيان الصهيوني من أمدهم بالسلاح والأموال، ومن شاركهم في تنفيذ المذبحة البربرية.

ولنطلب ممن يريد البراءة أن يثبت براءته، أن يسهم في عقاب القتلة، وأن يشارك قولا وفعلا في عدم أصحاب الحق، في عدم حق الشعب الفلسطيني في الحياة الحرة الكريمة في وطنه المستقل.

الهـوامـــش

(1) جريدة الجرو سالم بوست الاسرائيلية، 1982/9/23، هيرش جودمان.
(2) جريدة الانباء الكويتية، 1982/9/5، نقلا عن رويتر.
(3) جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية، 1982/9/7، مناحم هورويتز وجريدة الهيرالدتريبيون الامريكية تصدر في باريس، 1982/9/7، إدوارد والش.
(4) جريدة الشرق الاوسط العربية تصدر في لندن، 1982/9/8، عن وكالات الأنباء.
(5) جريدة نيويورك تايمز الامريكية، 1982/9/26 توماس فريدمان.
(6) جريدة الشرق الاوسط العربية تصدر في لندن، 1982/9/10 عن وكالات الانباء.
(7) جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية 1982/9/10 ديفيد فرانك.
(8) مجلة تايم الامريكية، 1982/9/27، ديفيد هالفي.
(9) نيويورك تايمز الامريكية، 1982/9/26، توماس فريدمان.
(10) جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية، 1982/9/16.
(11) جريدة التايمز البريطانية 1982/9/16.

(12) جريدة الهيرالدتريبون الامريكية تصدر في باريس.
(13) جريدة الشرق الاوسط العربية تصدر في لندن، 1982/9/21 نقلا عن اذاعة الجيش الاسرائيلي.
(14) جريدة النيويورك تايمز الامريكية، 1982/9/26 توماس فريدمان.
(15) جريدة الهيرالدتريبون الامريكية تصدر في باريس، 1982/9/21 ديفيد لامب.
(16) مقتطفات من وصف المراسلين الصحفيين للمذبحة في الجرائد العالمية.
(17) جريدة الشرق الاوسط العربية تصدر في لندن 1982/9/20 عن وكالة الصحافة الفرنسية.
(18) جريدة الأنباء الكويتية، 1982/9/20، عن اليونايتدبرس.
(19) جريدة النيويورك تايمز الامريكية، 1982/9/26، توماس فريدمان.
(20) جريدة الوطن الكويتية، 1982/9/19 عن اليونايتدبرس والاوبزرفر البريطانية، 1982/9/19 كولين سميث.
(21) جريدة الاتحاد الخليجية، 1982/9/23 نقلا عن راديو اسرائيل.
الارقام التي نشرت في الصحف الاجنبية هي فقط عن الجثث التي عثر عليها في المخيمات وأمكن التعرف على أصحابها، ولم تذكر الصحف عدد الجثث التي لم يعرف أصحابها بسبب اهترائها أو تشوهها بالبلطات والفؤوس، ومازال البحث جاريا عن الجثث التي دفنت خارج المخيمات.
(22) جريدة الوطن الكويتية، 1982/9/19 عن اليونايتدبرس.
(23) كما رواها الناجون من المذبحة للجرائد اللبنانية والاجنبية.
(24) كما رواها كل من :
جريدة التايمز البريطانية 1982/9/21 روبرت فيسك.
جريدة النيويورك تايمز الامريكية 1982/9/26 توماس فريدمان.
جريدة الاوبزرفر البريطانية 1982/9/26 كولين سميث.
جريدة الهيرالدتريبون الامريكية تصدر في باريس 1982/9/21 يفي لامب.
(25) تعرف عليه روبرت فيسك مراسل جريدة التايمز 1982/9/22.
(26) كما رواها كل من :
جريدة النيويورك تايمز الامريكية 1982/9/26 توماس فريدمان.
جريدة التايمز البريطانية 1982/9/21 روبرت فيسك.
جريدة الوطن الكويتية، 1982/9/19 عن اليونايتدبرس.
جريدة الشرق الاوسط العربية تصدر في لندن 1982/9/22.
(27) جريدة التايمز البريطانية، 198°/9/24 روبرت فيسك.
(28) جريدة الصنداى تلجراف البريطانية، 1982/9/19 بارى شيرز.
(29) جريدة الصنداى تلجراف البريطانية، 1982/9/19 بارى أوبراين.
(30) جريدة عكاظ السعودية، 1982/9/20 عن رويتر.
(31) جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية، 1982/9/20 ديفيد لندو.
(32) جريدة الهيرالدتيبون الامريكية تصدر في باريس، 1982/9/20.
(33) جريدة الديلى امريكان الامريكية، 1982/9/22 نقلا عن التايمز.
(34) جريدة الجارديان البريطانية 1982/9/20 جيمس مكمانوس.
(35) جريدة التايمز البريطانية، 1982/9/22.
(36) جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية 1982/9/21 عن الاستوشيتدبرس.
(37) جريدة الديلى تلجراف البريطانية 1982/9/21 ديفيد ادامسون.
(38) جريدة الهيرالتريبيون الامريكية تصدر في باريس 1982/9/23 عن الاسوشتيتدبرس.

(39) جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية 1982/9/24 هيرش جودمان ونيويورك تايمز الامريكية 1982/9/26 توماس فريدمان.

(40) جريدة الديلي تلجراف البريطانية 1982/9/21 بارى أوبراين والتايمز البريطانية 1982/9/21 موشيه بريلمانت.

(41) جريدة الشرق الاوسط العربية تصدر في لندن 1982/9/24 نقلا عن التايمز.

(42) جريدة التايمز البريطانية 1982/11/2 نقلا عن كريستوفر والكر.

(43) جريدة الشرق الاوسط العربية تصدر في لندن 1982/9/22.

(44) جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية 1982/9/26 ديفيد لانلو.

(45) جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية 1982/9/20.

(46) جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية 1982/9/21 هيرش جودمان وبن يشاى مراسل التليفزيون الاسرائيلي.

(47) مجلة نيوزويك الامريكية 1982/10/4 جيمس بريجل.

(48) جريدة الوطن الكويتية 1982/9/19 عن اليونايتدبرس.

(49) مجلة تايم الامريكية 1982/9/27 روبرتوسيرو.

(50) جريدة الشرق الاوسط العربية تصدر في لندن 1982/9/22.

(51) جريدة التايمز البريطانية 1982/9/21.

(52) جريدة الديلي تلجراف البريطانية 1982/10/26 بارى أوبراين.

(53) جريدة التايمز البريطانية 1982/10/26 كريستوفر والكر.

(54) جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية 1982/11/1 ديفيد رينشاردسون.

(55) جريدة الجروسالم بوست الاسرائيلية 1982/11/1.

(56) جريدة اهيرالدتريبون الامريكية تصدر في باريس 1982/11/8 إدوارد والش.